تـمّ تحميل هذا الملفّ من مكتبة الأديب الرّاحل رمضان لاوند | جميع الحقوق محفوظة © www.RamadanLawand.com

الأَديب و المُفكِّر الرَّاحِل

رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَند

سيّد المنابر

برنامج

في رحاب القرآن –92

مقدمة البرنامج ...

مؤثرات .....

الراوي (1) : الحب قوة حين يكون سليماً معافى .. وهو لا يكون سليماً معافى ما لم يستمد معناه من البنية النفسية السليمة . .. الهدوء الذي يشيع في النفس والاستجابة لكل رغبات الفطرة الإنسانية في توازن واعتدال ثم التصرف في ضوء فردية مشاركة بحيث تكون لصاحبها علاقة عضوية بغير من أبناء المجتمع.

الراوي (2) : ثم لا يلبث الحب أن يصبح ضعفاً حين لا يستمد معانيه من البنية النفسية السليمة .. إن الخوف الذي يفسد على الإنسان تفكيره والقلق الذي تختلط به الألوان والصور فلا يكاد صاحبه أن يعرف طريقه .. والتخبط في التمييز بين الخير والشر والحق والباطل والجامل والقبح .. هذه كلها آيات وعلامات على وجود حب مريض .

الراوي (1) : إن الحب العظيم الذي يتجاوب مع التوجيه التربوي في كتاب الله هو الذي يجد المتعة في التضحية كما يجدها في الكسب . ويجد لذة في امتاع الآخرين كما يجد مثل هذه اللذة في امتاح صاحبه . ولذلك فهو عنوان على موقف غير عادي وصفات أصيلة يستغل بها من يرتفعون بأنفسهم إلى مستويات عالية يستوى عندهم فيها أن يقدموا إعطاء الروح واليد للجميع دون استثناء .

الراوي (2) : ولا يعني تعريفنا هذا للحب أن على المحبين الحقيقيين أن يتجاهلوا حقوقهم الخاصة في عاطفة الحب .. ذلك لأن الحب حوار .. فيه يتم التفاعل بين فريقين والتجاوب بين إنسانين .. ولو أنه صدر عن فريق واحد فهو يهدف في غايته البعيدة الى تحقيق هذا الحوار الذي تتكامل به ظاهرة الأخوة في المجتمع الواحد ..

الراوي (1) : والجدير بالذكر أن القرآن الكريم قد تحدث عن هذا النوع من الحب الكريم النبيل وسلط الضوء على أشكاله المختلفة . وكانت انطلاقته في تقرير عاطفة الحب العظيم صادرة عن تقريره لحقيقة أساسية حين قال عن الإنسان في سورة العاديات : " وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ " ..

الراوي (2) : هكذا يتقرر في كتاب الله أن الحب الذي يبدأ من نفسه ويهدف إلى إرضاء مطالب هذه النفس والاستجابة لها هو البداية الحقيقية لكل مسيرة عاطفية صحية .

الراوي (1) : وإذاً فإن في توجيه القرآن التربوي قولة ذهبية تتلخص بما يلي : أنت تحب الناس حقاً حين تعرف كيف تحب نفسك . ذلك لأن حب النفس شيء في فطرة الإنسان . فمن قاوم هذه الفطرة فقد قاوم سنة الله في خلقه .. وستنتهي هذه المقاومة بالنكوص والفشل والافلاس .

نقلة موسيقية ..

صالح : أما أن حب النفس شيء مركوز في فطرة الإنسان فهو أمر مسلم به . كل منا يشعر بضغط هذا الحب عليه ويسعى إلى إشباعه والاستجابة له لكن الذي لم أفهمه أنا شخصياً هو : الحب للآخرين من خلال حبنا لأنفسنا ..

سعيد : وأضيف إلى ما ذكره أخي **صالح** : أن حب النفس هو استجابة للأنانية واستخذاء أمام الغريزة والغريزة عمياء بينما حبنا للآخرين في حاجة إلى نكران الذات والإفساد على نفوسنا رغباتها الخاصة فكيف يستقيم في عقولنا أن تجتمع الأنانية والإيثارية .

جاسم : ولا تنسى يا أستاذ **محمد** أن الأعمال العظيمة التي قام بها ألوف المبارزين في المجتمع كانت في أعماق النفس البشرية تعبيراً عن الرغبة في فرض الذات واستقطاب اعجاب الآخرين والإدلال عليهم .. فكيف يستقيم هذا المعنى مع ما أتينا به .

محمد : حسن جداً أيها الشباب .. أنا معكم حين تقررون أن حب الخير للنفس هو ثمرة ضغط من قبل الغريزة وأن الغريزة عمياء وبالتالي تنكر حقوق الآخرين في حب صاحبها لهم وإيثاره إياهم بالخير .. ولكن يبدو لي أنكم في حاجة لمن يذكركم بالجانب الآخر من بنية الإنسان ..

صالح : وما هو هذا الجانب الآخر ؟

محمد : إنه الجانب الذي يتمثل في اشراقة الروح وجمال الخلق وما ترمز التضحية إليه من الالتزام بالقيم الكريمة والمثل العليا .

سعيد : لعلك تريد العودة إلى نظرية التوازن في العملية التربوية لكتاب الله ؟!

محمد : طبعاً يا **سعيد** .. أوَلم أقل لكم مرات كثيرة إن القرآن الكريم لا يؤخذ بعضه ثم يترك بعضه .. إنه وحده لا تتجزأ فهو يواجه الإنسان باعتباره موطنا لجاذبين وباعثين متكاملين تتم بهما إنسانيته .

جاسم : وكيف يصبح هذا الحب النابع من احساسنا بالفردية وتأثرنا بمطالب الغريزة العمياء حباً كريماً يمد النفس الانطوائية بطبيعتها ويجاوز بها حدود الغريزة .

محمد : يتم ذلك يا **جاسم** بتغذية الإشراقة في الروح وتنمية الفردية المشاركة التي تكشف عن العلاقة العضوية بين الفرد والمجتمع ..

جاسم : هل لك أن توضح قليلا ؟

محمد : الحقيقة يا أبنائي أن الغريزة لا تتجه في اتجاه واحد .. إنها ذات شعب مختلفة وبذلك تصبح أكثر من غريزة باعتباره متشعبة في اتجاهات مختلفة .. لقد فشت سنة الله في خلقه أن تدافع النفس عن وجودها وأن تسعى إلى كسب الخيرات لذاتها ولكنها في الوقت ذاته تحقق خيرها هذا بالتعاون مع النفوس الأخرى حين تقتنع بأن مصيرها في النهاية هو مصير هذه النفوس .

سعيد : لكن هذا الاتجاه لا يقضي على الأنانية ولا يحولها أو يتسامى بها . فهي عندما تقتنع لأول مرة أن خيرها هو في اعتزال غيرها من النفوس لا تلبث أن تستيقظ فيها أنانيتها .

محمد : هذا ما يقوله علماء الأخلاق الذين يفتقرون إلى الرؤية القرآنية .

صالح : وما هي هذه الرؤية ؟

محمد : هنا يأتي دور الإيمان واشراقة الروح .. الدور الذي يرتفع به النفس إلى ما فوق الاعتبارات الوقتية والمصالح الآنية .. وهو الدور الذي يجعلها تطل على الدنيا من خلال الثقة بالحضور الإلهي الذي جاء مثلاً أعلى لإعلان الإيثارية وحب الآخرين في أعلى مستوياتهما ..

جاسم : هل تضيف إلى ما ذكرت معاني أخرى تزيد ما تقوله وضوحاً ؟

محمد : طبعاً يا **جاسم** .. لقد كان الخلق الإلهي نفسه وما يزال وسيبقى العنوان الكبير والنموذج الأمثل لمعنى العطاء الذي لا حد له . وما هو العطاء في جوهره وحقيقته إن لم يكن الحب الذي حدثتكم عنه ؟! ..

سعيد : إذا كان العطاء هو الذي تقصده بمعنى الحب فلا تنسى يا أستاذ **محمد** أن الله سبحانه وتعالى يطالبنا بالعبادة مقابل هذا العطاء وعلى ذكل فهو يعطينا جل وعز ولكنه في الوقت نفسه يعلمنا أن العطاء يقتضي المقابل الذي لا بد منه كما في قوله تبارك وتعالى : " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ** مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ " ..

محمد : كلا يا **سعيد** .. فإذا كنت ترى في هذه الآية مثل هذا المعنى فأنت مخطىء .. حتى العبادة التي تؤديها لربك هي عطاء حب منه لو كنت تدري ما الكتاب وما الإيمان ؟! ..

صالح : هذا جديد علينا يا أستاذ **محمد** .

جاسم : ولكن كيف ذلك ؟! نحن لا نعترض .. ولكننا راغبون في الفهم وحسب .؟

محمد : ألا تعلمون أيها الأبناء أن العبادة وما ترتكز إليه من قاعدة الإيمان هما جزءان من صميم العملية التربوية التي يأتي بها القرآن ؟! ..

سعيد : زدنا علماً يا أستاذ **محمد** .

محمد : أنت يا بني حين تريد أن تتصرف بنبل .. وأن تتسامى فوق الشهوات التي ركبت فيك والبواعث الأنانية المغروسة في نفسك تحتاج إلى المثل الأعلى الذي تجعل من التوجيه اليه طريقك إلى قلوب الناس .. فإذا أعطيت بسخاء متوجها إلى الله المثل الأعلى في السموات والأرض فأنت عابد مؤمن.. وإذا أعنت دون منة متوجهاً إلى المثل الأعلى في السموات والأرض فأنت عابد مؤمن .. وإذاً فأنت تمارس أرفع أنواع السلوك وتحقق أعظم أنواع النبل حين تتوجه بكل عمل من أعمالك إلى الله لا تريد فيه من الناس جزاءً ولا شكوراً ..

سعيد : هذا والله صحيح .. لكأني نسيت ما أتلوه يومياً من كتاب الله أو أني لا أفقه شيئاً مما أقرأ ..

محمد : كلا يا **سعيد** لكن الواحد منا تمر به فترة بعد فترة ينغلق فيها الفهم عليه ولكنه لا يلبث أن يتلقى من ربه نور الهداية فإذا هو يدرك ما يحتاج إلى ادراكهع من أسرار النفس وعلاقاته بربه عز وجل ..

صالح : شكراً يا أستاذ **محمد** .. ما رأيك لو نعود إلى موضوع العطاء الذي هو صفة من صفات الله عز وجل ..

جاسم : فإذا استبقنا هذا الجانب من موضوع الحب بحثاً وتدبراً انتقلنا من بعد إلى الحب في معناه الإنساني .

نقلة موسيقية .....

الراوي (1) : ويمضي الاستاذ **محمد** فيسلط الضوء على مصادر العطاء وأنواعه عند الله قائلاً لتلامذته . لو شئت أن أعدد مصادر هذا العطاء لاحتجت الى العشرات بل المئات من الآيات الكريمة استشهد بها معدداً كل نعمة من نعم الله عز وجل ..

الراوي (2) : اسمعوا هذه النصوص من كتاب الله وفي كل منها ما يكفي لتصوير نعمة من نعم الله جديرة بملء قلوبنا بالشكر والخشوع والرضا .. قال تعالى في سورة التغابن : " خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ " .. وفي سورة الرحمن " الرَّحْمَنُ **عَلَّمَ الْقُرْآنَ **خَلَقَ الْإِنسَانَ **عَلَّمَهُ الْبَيَانَ " وفي سورة الأعلى " سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى **الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى **وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى " وفي سورة الانفطار " يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ **الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ **فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ "..

الراوي (1): ثم قال معقباً على الشواهد التي أتى بها : هذا كله يغدو نعمة الخلق التي أصبح بها الإنسان بشراً سوياً .. يقدمه القرآن في عبارات شتى وصور مختلفات ولكنها كلها تجتمع عند موضوع واحد هو إخراج الإنسان بشراً سوياً .

الراوي (2) : وفي مواطن أخرى من كتاب الله نقرأ تفصيل نعم غير النعمة الأولى وفيها كلها ما يصور العطاء الإلهي غير المحدود .. تخيلوا معي أيها الأبناء يوما تكف فيه الشمس عن إرسال نورها ودفئها .. وينقطع فيه المطر عن إغاثة الناس وتمتنع فيه الأرض عن إخراج النبات من جوفها .. بل تخيلوا ما هو دون ذلك وأسرع أثراً من ذلك ...

الراوي (1) : تخيلوا أن الحزام الذي يحيط بالكرة الأرضية ويحميها ومن فيها من الاشعاعات المميتة التي يمتلىء بها الفضاء العريض قد انفتق لفترة لا تزيد عن الثانية بل عن جزء من الثانية .. فماذا عساه يحدث ؟ إنه الموت الذي يجتاح كل الكائنات الحية فإذا بالأرض هي كما قال الشاعر :

كأن لم يكن بين الجحون إلى الصفا أنيس ولم يسحر بمكة سامر ..

الراوي (2) : ثم يبدأ الأستاذ المحاضر بإيراد الشواهد فيتلو من سورة الحج " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاء أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ".

الراوي (1): وها هو يستشهد بآية أخيرة في هذا المعنى فيتلو قوله تعالى " أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ **وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ **وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ "..

نقلة موسيقية .

محمد : أعتقد أيها الأبناء أنكم بعد الذي سمعتموه قد أحطتم علماً بجملة من النعم الإلهية التي لا ينقضي معها شكر ولا تنقطع أمامها دهشة أبدا ..

صالح : نحن إذ نؤكد لك ادراكنا لكل هذه المعاني نجد في آية من سورة النحل ما يحدث في نفوسنا إحساساً آخر من إحساسات الدهشة .

محمد : وما هي هذه الآية يا **صالح** ؟

صالح : إنها في قوله تبارك وتعالى :" وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِلشَّارِبِينَ **وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ **وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ **ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ "..

محمد : صدق الله العظيم .. وبعد فإن بين أيدينا وتحت تصرفنا وفي خدمة أغراضنا في الحياة الدنيا ألواناً من العطاء الإلهي ما لا سبيل إلى إيراده في ندوة اليوم .. فلنقتصر على ما شهدناه حتى اليوم ثم نعود إلى جملة أخرى منه في ندوتنا القادمة إن شاء الله ..

موسيقى نهاية ..